النعمة والحق

شهر
12
سنة
2022

December 2022
Vol. 69 · No. 11

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الثلاثون

نوفمبر وديسمبر ٢٠٢٢

العدد ١٨٠

في هذا العدد

افتتاحية العدد	الله يحب خاصته دائماً	١
موضوع العدد	التمييز بين إسرائيل والكنيسة	٣
موضوع العدد	الإختلافات بين إسرائيل	١١
موضوع العدد	التدابير الكتابية	١٧
الأخبار السارة	عهد النعمة	٢٢
شخصية كتابية	حياة بولس	٢٣
تأملات هادئة	----	٣٢
من روائع الكلمة	أروع كيان في الوجود	--

بظهور المسيح ظهرت نعمة الله المخلصة، ظهرت بوضوح لجميع الناس من كل الأجناس

❋

اقرأ الأخبار السارة

ص ٢٢

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ٣٠ جنيهاً و ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gt_mag@yahoo.com
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١- الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢١٢٤١٩ – الإسكندرية (٠٣).

الله يحب خاصته دائمًا

إنه لمن الرائع أن نقرأ الكتاب المقدس كلَّ يوم بانتظام، بحيث يكون ما نقرأه كلَّ يوم مبنيًّا على ما قرأناه في اليوم السابق، أو نابعًا منه. وإذا فعلنا ذلك بروح الصلاة، سيتسنَّى لنا الحصول على أجزاء متعدِّدة من الحق، تؤدِّي بالضرورة إلى نمو علاقتنا باللّه.

توجد أمور كثيرة السهلة الفهم في الكتاب المقدس، لكنَّ بعض الأفكار أو الموضوعات الأخرى قد تبدو أكثر صعوبة في فهمها. ولذلك، فإن الدراسة الشخصية، والاستعانة بأناسٍ يفسِّرون الكتاب المقدس بتدقيق، يمكن أن تساعدانا لنستوعب المكتوب (٢تيموثاوس ٢: ١٥؛ نجميا ٨: ٨). وقد رأينا بالفعل كيف أوضح الرب أجزاءً من العهد القديم للتلميذين على طريق عمواس (لوقا ٢٤: ٢٧). ويمكن للعديد من وسائل المساعدة لفهم الكتاب المقدس أن تكون مصدر بركة لنا، لكننا يجب أن نتحلَّى بالتمييز، فاحصين مدى دقة وصحة ما يقال فيها قياسًا على كلمة اللّه (أعمال الرسل ١٧: ١١). فحقًّا، إن الكتاب المقدس يفسِّر نفسه بنفسه، والروح القدس على

أتم الاستعداد أن يعلِّمنا كلَّ شيء (يوحنا ١٤: ٢٦). فقطعًا، بما أن الكتاب المقدس هو كلمة اللّه، فإن اللّه نفسه هو القادر أن يفسِّره لنا.

وعندما نقرأ الكتاب المقدس بتمعُّن، نكتشف أن اللّه تعامل مع شعبه بطرق مختلفة خلال فترات زمنية مختلفة، وهو سيفعل ذلك أيضًا في الزمان الآتي. كانت كلُّ فترة من هذه الفترات الزمنية مميَّزة في سماتها وطبيعة العلاقات فيها. فعلى سبيل المثال، ركَّزت تعاملات اللّه مع الجنس البشري منذ منتصف سفر الخروج وحتى الأناجيل على أمة إسرائيل، وتمحورت هذه التعاملات حول الناموس (الشريعة). لكن عقب تلك الفترة، نرى نعمة اللّه بارزة بوضوح، من أعمال الرسل ٢ فصاعدًا، وصولاً إلى جزء كبير من سفر الرؤيا. وعند تأملنا في تلك الأمور، سيتحتم علينا أن ندرك أن أمة إسرائيل والكنيسة هم كيانان منفصلان. يختلف ذلك عما يقدَّم من تعليم في الوقت الحالي بين المؤمنين، والذي يفترض أن الكنيسة مجرد امتدادٍ لإسرائيل القديمة. ومثل هذا التعليم الخاطئ قد يتسبَّب في الكثير من الخلط والالتباس بين المؤمنين.

لكن بغض النظر عن الفترة الزمنية، سيظل اللّه يحب شعبه. فإن دخول البشر في علاقة مع اللّه، وتمتُّعهم بمحبته، لطالما كان بالإيمان. نرى ذلك بصفة خاصة في عبرانيين ١١، لكنه ظاهرٌ أيضًا في كلِّ أنحاء الكتاب المقدس. «وَٱلْبَارُّ بِإِيمَانِهِ يَحْيَا» (حبقوق ٢: ٤؛ انظر رومية ١: ١٧؛ غلاطية ٣: ١١؛ عبرانيين ١٠: ٣٨). إذن، الإيمان هو مفتاح الخلاص في أي عصر (انظر رومية ٤). وهذا الإيمان يتجلَّى، أو يظهر، من خلال طاعتنا، مثلما تبيَّن رسالة يعقوب. فقد استطاع اللّه أن يفتح الطريق عن طريق بذل ابنه نفسه في الجلجثة. له كل المجد!

تمييز الفرق

التمييز بين إسرائيل والكنيسة

قد يختلف المؤمنون المخلِصون فيما بينهم في كثير من الأحيان في فهمهم لأحد موضوعات الكتاب المقدس. وتتعلَّق واحدة من نواحي الخلاف المحتمَلة بكيفية تفسيرنا للفرق بين إسرائيل والكنيسة. فهل يوجد فرق بالفعل؟ يقول كثيرون إنه لا يوجد فرق، قائلين: "في أزمنة العهد القديم، كان بنو إسرائيل هم شعب اللّه المختار، لكنهم أخفقوا، وأُخِذوا إلى السبي. ولذلك، تجَّاهم اللّه جانبًا، وخلق جماعة جديدة من البشر، مكوَّنة من يهود وأمم، تُعرَف باسم الكنيسة. وإسرائيل موجودةٌ اليوم بصفتها دولة علمانية، ليس أكثر، لكن لم يَعُد لها مكان في مقاصد اللّه".

كيف يمكن الردُّ على طريقة التفكير هذه؟ فهل حلَّت الكنيسة بالفعل محلَّ إسرائيل في مقاصد اللّه؟ وهل انتقلت وعود اللّه التي قُطعت لإسرائيل في العهد القديم الآن بالكامل إلى الكنيسة؟ تحتاج مثل هذه الأسئلة إلى إجابة، ولن تسمح لنا بضع صفحات بتقديم إجابة تفصيلية. لكننا نؤمن بأن الكتاب المقدس يميِّز بوضوح بين إسرائيل والكنيسة، ولذلك

نـود توضـيح هـذا الـرأي. وربمـا يجـب أن نطـرح في البدايـة السـؤال التـالي: "كيـف نشأ هذا الالتباس؟"

بعض الأمثلة البسيطة

رغـم دقـة بعـض ترجمـات الكتـاب المقـدس، وجـدارتها بالثقـة، علينـا أن ننتبـه جيـدًا إلى حقيقـة أنـه ليسـت كـلُّ كلمـة في تلـك الترجمـات هـي جـزءٌ مـن الـنص الأصـلي. فقـد أضـاف بعـض مترجمـي الكتـاب المقـدس عنـاوين لمسـاعدة القـرَّاء. وتلـك العنـاوين قـد تكـون مفيـدة في كثـير مـن الأحيـان، لأنهـا تمكِّننـا مـن التعـرُّف علـى الموضـوع الرئيسـي للأصـحاح؛ لكـن، لـيس هـذا هـو الحـال دائمًـا. فـبعض الطبعـات مـن ترجمـات الكتـاب المقـدس تحتـوي علـى عنـاوين وُضِـعت بحُسـن نيـة، لكنهـا مضـلِّلة. فعلـى سـبيل المثـال، نقـرأ في ترجمـة الملـك جـيمس الإنجليزيـة عنـوان إشـعياء ٤٣ كالتـالي: "اللّه يعـزِّي الكنيسـة بوعـوده". لكـن، يبـدو واضـحًا أن الآيـات الافتتاحيـة مـن إشـعياء ٤٣ لا تخـصُّ كنيسـة العهـد الجديـد. فقـد كـان الـربُّ في إشـعياء ٤٣: ١ يخاطـب "يعقـوب" و"إسـرائيل"، وكلاهمـا يجـب أن يُفهَـم في سـياقه. وفي بعـض الطبعـات الأخـرى، تحتـوي الصـفحة الأخـيرة مـن سـفر إشـعياء علـى العنـوان التلخيصـي التـالي: "جمـع كـلّ الأمـم في كنيسـة واحـدة"، مـع أن سـياق الـنص يشـير مـرة أخـرى إلى أورشـليم (إشـعياء ٦٦: ١٠)، ولا يمـت بصـلة لكنيسـة العهـد الجديـد. لكـن، يمكـن لشـخص يقـرأ سـفر إشـعياء أن يَقبَـل تلـك العناوين دون فحص، وبالتالي يختلط عليه الفارق بين إسرائيل والكنيسة.

ربما يبـيِّن مثـال آخـر مـدى الحـذر الـذي يجـب أن نتوخـاه في تعاملنـا مـع كلمـة اللّه. في أعمـال الرسـل ٧: ٣٨، أشـار اسـتفانوس إلى «الكنيسـة الـتي في البريـة» في أثنـاء حديثـه إلى رؤسـاء اليهـود. ويقتـرح الهـامش في بعـض الترجمـات كلمـة

"اجتماع" كبديلٍ لكلمة "الكنيسة"، وهي بديلٌ أفضل منها بالفعل. فإن كنيسة العهد الجديد لم تكن موجودةً في أثناء اقتياد موسى لبني إسرائيل في البرية، كما سنرى فيما يلي.

«أَبْنِي كَنِيسَتِي»

دائمًا ما يفيدنا جدًا أن نحاول اكتشاف أين استُخدِم تعبيرٌ معيَّن في الكتاب المقدس لأول مرة. ففي متى ١٦: ١٨، نجد أول إشارة إلى الكنيسة في العهد الجديد. أدلى سمعان بطرس باعتراف لافت للنظر، ردًّا على سؤال الرب يسوع (الآية ١٥) لتلاميذه قائلاً: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» وردَّدت كلمات بطرس صدى قناعته، قائلاً: «أَنْتَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللهِ ٱلْحَيِّ» (الآية ١٦). وإذ أقرَّ الرب يسوع بأنه لم يكن باستطاعة بطرس الإدلاء بمثل هذا الاعتراف إلا بإعلان إلهي، قال له: «أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ ٱلصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي» (الآية ١٨).

لفهم تلك الكلمات أهمية حيوية. أولاً، نلاحظ هنا أن الكنيسة لم تكن موجودة بعد، إذ استخدم الرب يسوع زمن المستقبل في حديثه عن بناء الكنيسة: «أَبْنِي [سأبني] كَنِيسَتِي». ثانيًا، هذه الكنيسة ستكون له، لأنه قال: «كَنِيسَتِي». ثالثًا، هو الذي سيبني تلك الكنيسة بنفسه. فإن «ٱلصَّخْرَةِ» التي كانت الكنيسة ستُبنَى عليها لم تكن هي شخص سمعان بطرس، بل بالأحرى اعترافه. فلو كان قصد الرب يسوع هو أن الصخرة التي ستُبنَى عليها الكنيسة هي بطرس، لما أمكننا البتة أن نفهم كلماته التالية القائلة: «وَأَبْوَابُ ٱلْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (الآية ١٨)، وذلك لأن بطرس كان إنسانًا فانيًا وخاطئًا (انظر لوقا ٥: ٨؛ ٢٢: ٦١-٦٢)!

وبالتالي، فإن كلمات الرب يسوع المسيح هذه تمثِّل أهمية، لأنها تبيِّن أن الكنيسة التي كان من شأنه أن يبنيها ليست هي إسرائيل.

رومية ٩-١١

تُعَد رسالة بولس إلى مؤمني رومية تحفةً فريدةً من نوعها في عرضها لرسالة الإنجيل. فإن الآية الأولى فيها تشير إلى إِنْجِيلِ ٱللهِ (رومية ١: ١)، الذي أحبَّ بولس أن يكرز به. ويبيِّن رومية ١: ١٦ أنه ينبغي أن يُنادَى برسالة الخلاص «لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ». كذلك، يكشف أعمال الرسل ١: ٨ عن خطة الرب للكرازة بعد موته وقيامته، معلنًا أنه يجب أن يُنادَى بالرسالة أولاً في أورشليم، قبل أن تؤخَذ في النهاية إلى أقصى الأرض. وبالقراءة في سفر أعمال الرسل، نقرأ عن حدث ميلاد الكنيسة في يوم الخمسين، حين تكوَّنت جماعة جديدة من المؤمنين، سكن فيهم الروح القدس (أعمال الرسل ٢: ١-٤). وفي طاعةٍ من الرسل لوصية الرب يسوع، قاموا بنشر رسالة الخلاص في دوائر متزايدة الاتساع. وفي البداية، كانت الكنيسة مكوَّنة بالكامل من مؤمنين من اليهود. لكن بمرور الأشهر، أضيف إليها عددٌ متزايدٌ من الأمم.

وقد ابتهج بولس بإعلان الإنجيل في رسالته، لكنَّ الآيات الافتتاحية من رومية ٩ تكشف عن حزن عظيم ووجع لا ينقطع في قلبه، ظلَّ في قلبه كلما فكَّر في أمته وأنسبائه حسب الجسد (رومية ٩: ٢). كان بولس يعرف كل شيء عن إرثهم، والبركات الماضية التي نالوها. لكنه كان يتوق إلى خلاصهم. فلمَ كانوا عميانًا إلى هذا الحد عن رسالة الخلاص؟ وهل رفضهم اللهّ إلى الأبد (رومية ١١: ١)؟ تحتاج هذه الأصحاحات الثلاثة - أي رومية ٩، ١٠، ١١ - إلى قراءة متمعِّنة. فقد سمح اللهّ في حكمته بأن يصاب شعب إسرائيل بنوع من "القساوة" الجزئية، حتى تصل رسالة الخلاص إلى

الأمم (رومية ١١: ٢٥). لكنَّ اللّه لم يكن قد انتهى بعد من التعامل مع شعبه الأرضي (شعب إسرائيل)! وبالتالي، كي يتمكَّن أحدهم من تأييد فكرة حلول الكنيسة محل إسرائيل، سيكون عليه أن يعيد تفسير المصطلحات التي استخدمها بولس تمامًا، مفترضًا أنه عندما تحدث عن "إسرائيل"، لم يكن يقصد بذلك إسرائيل على الإطلاق!

مصير أرضي أم سماوي؟

إن القراءة عن إسرائيل في العهد القديم، ثم عن الكنيسة في العهد الجديد، تُظهِر في الحال نوعًا من التباين. كانت إسرائيل أمةً تمتلك أرضًا جغرافية محدَّدة. فإن الأرض التي سكنتها إسرائيل كانت ملكًا لهذه الأمة، وقد أعطاها اللّه لشعبه. وفي حالة إطاعة هذه الأمة اللّه، كانت لتتمتع ببركته في تلك الأرض.

أما الكنيسة المذكورة في العهد الجديد، فهي مختلفةٌ تمامًا. فعلى خلاف نظيرتها في العهد القديم، تَظهَر الكنيسة بصفتها جماعةً من الناس لهم مصير سماوي. فإن كنيسة العهد الجديد لا تنتمي إلى هذا العالم، وبالتالي لم تُقطَع لها وعود بمستقبلٍ هنا على هذه الأرض. أعرَب الرب يسوع، في صلاته إلى أبيه، عن رغبته الشخصية في أن يكون شعبه معه في السماء إلى الأبد (يوحنا ١٧: ٢٤). فإن الرب يسوع «بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ ٱلْعَالَمِ ٱلْحَاضِرِ ٱلشِّرِّيرِ» (غلاطية ١: ٤). والمؤمنون هم في المقام الأول مواطنون سماويون، ينتظرون مجيء الرب يسوع المسيح، وعندئذ، سيتغيرون ويصيرون لائقين بالمجد (فيلبي ٣: ٢٠-٢١).

كذلك، يصف العهد القديم إسرائيل بأنها امرأة يهوه، المتزوِّجة به، والتي تستمتع بالأرض التي أعطاها إياها (إشعياء ٦٢: ٤). أما العهد الجديد، فيصف الرب يسوع بأنه العريس، والكنيسة بأنها عروسه. وبحسب عادات الزواج الشرقي التقليدي، سيأتي العريس ثانيةً ليأخذ عروسه معه إلى بيت أبيه. وعلى عكس كلِّ ما أُعلِن عن إسرائيل، لم تُقطَع للكنيسة أيُّ وعود بأن يكون لها موطن على الأرض. بل بالأحرى، يربط العهد الجديد الكنيسة بالمسيح وبالسماء.

نبوات لم تتحقق بعد

ينبغي أن نأخذ في اعتبارنا اختلافًا آخر مقنعًا بين إسرائيل والكنيسة. فقد تتبَّعنا بالفعل في إيجاز الحُجة التي قدَّمها بولس في رومية ٩-١١، إذ أوضح كيف نجَّى اللّه إسرائيل جانبًا في الوقت الحالي. لكن، تبيِّن بعض المقاطع الأخرى من الكتاب المقدس أن اللّه سيَقبَل إسرائيل مرة أخرى.

أُعلِن لدانيال مستقبل شعبه في صورة سبعين أسبوعًا أو سبعين سبعة. ونقرأ هذه النبوة الرائعة في دانيال ٩: ٢٤-٢٧، وهي تتعلَّق بما دُعِي «شَعْبِكَ" و"مَدِينَتِكَ ٱلْمُقَدَّسَةِ»، وتنطبق بوضوح على مدينة أورشليم الحرفية، التي ذُكِرت بصورة محدَّدة. أُعلِن لدانيال عن تاريخين حاسمين، الأول هو «ٱلأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا»، في حين أن التاريخ الثاني يخص ٱلْمَسِيحِ ٱلرَّئِيسِ. وقُدِّرت فترة ٦٩ "أسبوعًا"، أو فترة ٤٨٣ سنة (٦٩*٧=٤٨٣)، بأنها الفترة الفاصلة بين هذين التاريخين المميَّزين. وستنتهي هذه الفترة التي مدتها ٦٩ "أسبوعًا" بقطع المسيح عن طريق الموت. لكن، لم تكتف نبوة دانيال بتناوُل ٦٩ أسبوعًا سنينًا، بل أشارت إلى ٧٠ أسبوعًا. وهذه السنوات السبع الأخيرة لم تأتِ بعد.

وبمقارنة نبوة دانيال بسفر الرؤيا، نكتشف مزيدًا من الإشارات إلى فترة السنوات السبع هذه، التي تنقسم إلى نصفين متساويين، مدة كلٍّ منهما ثلاث سنوات ونصف. وتُذكَر مدة النصف الثاني من هذه الفترة في بعض الأحيان بأنها ٤٢ شهرًا، وتُعرَف باسم «الضيقة العظيمة». وستكون هذه الفترة فترة غير مسبوقة من المعاناة على هذه الأرض، حيث سينسكب غضب اللّه على غير المؤمنين، ولا سيما إسرائيل. وتُعرَف هذه الفترة أيضًا باسم «وَقْتُ ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ» (إرميا ٣٠: ٧)؛ وستنتهي عندما يأتي الرب يسوع ثانيةً من السماء من فوق جبل الزيتون، ويقدِّم نفسه بصفته المنقذَ لشعبه الأرضي (زكريا ١٤: ٤).

كيف يمكن استيعاب ذلك؟

إذا أخفقنا في التمييز بين إسرائيل والكنيسة، لن يكون تفسيرنا لسبب عدم تحقُّق النبوات بالأمر الهيِّن. فثمة أهمية أن نكون متَّسقين في تفسير معاني النصوص الكتابية. فإدراكنا بأن النبوات المختصة بإسرائيل، التي تحقَّقت بالفعل في الماضي، قد تحققت حرفيًا، يجب أن يدفعنا إلى أن نتوقَّع أن تلك النبوات التي لم تتحقق بعد، لا بد أن تتحقق هي أيضًا حرفيًّا. لكن الذين يخلطون بين إسرائيل والكنيسة يخفقون في أن يكونوا متَّسقين. فالاعتقاد بأن الكنيسة حلَّت محل إسرائيل يستلزم فهم النبوات المتعلِّقة بإسرائيل بطريقة مختلفة. فبدلاً من أن تتمَّم تلك النبوات حرفيًّا، فسَّرها هؤلاء بطريقة روحية، الأمر الذي يمثِّل، بالتأكيد، تفرقة اعتباطية، ويستلزم جهدًا عقليًّا كبيرًا لتنفيذه.

ولذلك، بدلاً من اللجوء إلى أساليب تفسير متضاربة، نحتاج أن نَقبَل حقيقة أن إسرائيل والكنيسة ليسا كيانًا واحدًا. فإن بني إسرائيل كانوا

شعب اللّه في أزمنة العهد القديم. ووُلد منهم الرب يسوع، وجاء إليهم بصفته المسيا، لكنهم رفضوه. وقبل ذهاب يسوع إلى الصليب بفترة وجيزة، بكى على أورشليم، وأعلن أن سكانها لن يروه ثانيةً حتى يقولوا «مُبَارَكٌ ٱلْآتِي بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ» (متى ٢٣: ٣٩). فقد صُلِب ملك اليهود. لكن كان كلُّ ذلك بحسب حكمة اللّه ومقاصده، مثلما أوضح بطرس في يوم الخمسين (أعمال الرسل ٢: ٢٣). وبرفض إسرائيل لمسيحهم، خرج الإنجيل إلى الأمم.

في الوقت الحالي، يخلِّص اللّه أفرادًا - سواء من اليهود أو الأمم - بناءً على إيمانهم بالرب يسوع المسيح. ويسكن الروح القدس في الذين يؤمنون به، فيصيرون أعضاءً في جسد المسيح. وعندما يأتي الرب يسوع ثانيةً في الهواء، سيُخطَف الذين له لملاقاته في الهواء، وسيمضون ليكونوا كلَّ حين مع الرب (١تسالونيكي ٤: ١٦-١٧). وعندئذ، ستأتي نهاية عصر الكنيسة. لكن بعد ذلك، سيستكمل اللّه تعاملاته مع إسرائيل، وستأخذ فترة السبع سنوات المذكورة في الكتاب المقدس مجراها، وتنتهي بالمجيء الثاني للمسيح بنفسه إلى الأرض، ومُلكه عليها.

ثمة أهمية كبيرة أن نتعامل مع الكتاب المقدس بشكل سليم، وأن نوجِّد «[مفصلين] كَلِمَةَ ٱلْحَقِّ بِٱسْتِقَامَةٍ» (٢تيموثاوس ٢: ١٥). فإنه ينبغي دائمًا التمييز بين الاختلافات. ولا داعي لتعقيد حقائق كلمة اللّه. فاللّه هو أفضل مفسِّر لكلمته، وعلينا أن نسمح له هو بأن يوضحها لقلوبنا.

الإختلافات

بين إسرائيل والكنيسة

عندما أعطى الرب المؤمنين مزيدًا من الفهم للتدابير المختلفة، ابتدأ الناس يدركون وجود بعض الاختلافات الجوهرية بين إسرائيل والكنيسة. ثمة اختلافات مهمة بين هاتين الجماعتين من حيث طبيعة دعوتهما، وأدوارهما الفعلية، ومكانتهما في المستقبل. أوضح بطرس ذلك جيدًا في كلامه وفي رسالتيه. كما وهبنا اللّه أدوات إضافية، من خلال خدمة بولس، لنرى الأمور من منظور اللّه. فإن رؤية الأمور وفهمها من منظور اللّه هي ما يهم حقًّا، لأننا نريد أن نعرف أفكار اللّه، وليس أفكار الإنسان، عن أيِّ موضوع نرغب في دراسته.

بعض الأشخاص يتَّسمون بالتحيُّز، فيما يفتقر آخرون إلى التعليم الصحيح. وكلاهما قد يزعم أن الكنيسة حلَّت محل إسرائيل. لكن، لا يتفق هذا الادعاء مع كلمة اللّه، أو مع منظور اللّه. يؤمن عدد كبير من الأشخاص بأن لدى اللّه خططًا لإسرائيل منفصلة عن خططه للكنيسة، لكنهم مع ذلك لا يدركون الاختلافات الجوهرية الموجودة بين الدعوة

السماوية التي ابتدأت الكنيسة، وبين دعوة إسرائيل الأرضية. البعض أيضًا لا يعترفون بخطط الله للعالم الآتي، التي بموجبها ستكون إسرائيل هي مركز البركة على الأرض لجميع الأمم. دعونا إذن نرى ما يقوله الكتاب المقدس عن هذه الأمور.

اختلافات كبرى من البداية إلى النهاية

بدأت خطط الله لإسرائيل عندما دعا الله أبرام، وأمره بأن يترك أور الكلدانيين (تكوين ١٢). ثم أكَّد الله لأبرام، الذي معنى اسمه "أب مبجَّل"، أن نسله سيمتلك أرض الموعد (تكوين ١٥: ١-٧). لكن، ظلت سارة، زوجة أبرام، عاقرًا، وعاجزة عن إنجاب أولاد. ولذلك، رأى الزوجان أن إنجابهما الأولاد من خلال جاريتهما قد يكون الحلَّ لهذه المشكلة (تكوين ١٦: ١-٢). لكن، كانت لدى الله خطط وترتيبات أخرى. ففي وقت لاحق، عندما لم يَعُد أبرام قادرًا على إنجاب أيِّ نسل، دون تدخل معجزي مباشر، أطلق الله عليه اسم إبراهيم، الذي معناه أبٌ لجمهور من الأمم (تكوين ١٧: ٥). وكان هذا هو الوقت الذي فيه أوضح الله لإبراهيم خططه للمستقبل، سواء القريب أو البعيد.

أما فيما يتعلَّق بالكنيسة، فإننا نتعلَّم أن نعود إلى الوراء، إلى قصد الله الأزلي من قبل تأسيس هذا العالم (أفسس ٣: ١-١١). وبهذا، نتعرَّف على بعض الاختلافات المهمة بين شعب الله السماوي وشعب الله الأرضي، سواء من جهة الحاضر أو المستقبل (رومية ٨: ٢٩-٣٩).

فبالنسبة لهذه الأرض، لدى اللّه خطط سوف تتحقَّق في الملك الألفي. أما بالنسبة للكنيسة، فإن مشورة اللّه الأزلية تتحقَّق بشكل جزئي خلال فترة النعمة الحالية التي نعيش فيها، بينما ستتحقق عدة جوانب منها أيضًا خلال الملك الألفي للمسيح، الذي تحدث عنه الكتاب المقدس بغزارة. لكن، سوف تتحقق أمور أخرى أيضًا في الحالة الأبدية (انظر رؤيا ٢١: ١-٨؛ ٢بطرس ٣: ٨-١٠؛ ١كورنثوس ١٥: ٥٠-٥٨). ومع أن بعض التفاصيل أُعلِنت لنا، هي لا زالت تفوق إدراكنا الحالي، لكنها مع ذلك تبهج قلوبنا، لأن الروح القدس يعيننا على الاستمتاع بها. وهو يساعدنا أيضًا لندرك مدى ارتباطها بحبيبنا.

إن خطط اللّه لإسرائيل والأمم هي منذ تأسيس هذا العالم، وهو التعبير الذي ورد سبع مرات في الكتاب المقدس (متى ١٣: ٣٥؛ ٢٥: ٣٤؛ لوقا ١١: ٥٠؛ عبرانيين ٤: ٣؛ ٩: ٢٦؛ رؤيا ١٣: ٨؛ ١٧: ٨). في المقابل، إن أفكار اللّه من جهة المسيح والكنيسة كانت في قلبه من قبل تأسيس هذا العالم (يوحنا ١٧: ٢٤؛ أفسس ١: ٤؛ ١بطرس ١: ٢٠). كانت هذه الخطط معروفة مسبقًا، من قبل وجود أي شيء آخر، الأمر الذي يوحي بأن إلهنا وأبانا كان منشغِلًا بالتفكير فينا من قبل أن يبدأ في التفكير في إسرائيل، أو في وضع الخطط لهذا العالم. يعني ذلك أيضًا أن الآب والابن كانا يَعلَمان بالحاجة إلى ذبيحة قبل سقوط آدم وحواء في الخطية بزمان طويل، وأن الابن الأزلي، الذي كان في شركة مع الآب والروح القدس، كان على أتمِّ استعداد أن يكون هو نفسه تلك الذبيحة. ولهذا السبب، نقرأ في عبرانيين ١٠: ٧-١٠ أنه هو الذبيحة الفائقة، وأنه شاء ذلك من قبل تأسيس العالم.

إننا عاجزون عن أن نستوعب بأذهاننا مدى شدة وعظمة محبة اللّه. فإن اتحاد الآب، والابن، والروح القدس على رأي وفكر واحد بشأن الحاجة إلى ذبيحة هو أمرٌ يفوق إدراكنا. كذلك، ليس بمقدورنا أن ندرك عظمة تلك "الذبيحة الواحدة" (عبرانيين ١٠: ١٢)، ونتائجها الأبدية بالنسبة للّه، وليسوع الإنسان، وبالنسبة لنا نحن أيضًا.

إن الرب يسوع المسيح هو الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله الرسالة إلى العبرانيين، وقد ورد التعبير "عن يمين اللّه" أربع مرات عبر هذه الرسالة (عبرانيين ١: ٣، ٨: ١؛ ١٠: ١٢؛ ١٢: ٢). كما ورد هذا المصطلح ثلاث مرات أخرى في كتابات بولس بوجه عام (رومية ٨: ٣٤؛ أفسس ١: ٢٠؛ كولوسي ٣: ١). عاين شاول الطرسوسي الرب يسوع الجالس عن يمين اللّه، عندما دعاه وهو في طريقه إلى دمشق (أعمال الرسل ٩، ٢٢، ٢٦)، وأشار بطرس إلى يمين اللّه حيث يجلس يسوع الآن (١بطرس ٣: ٢٢). كما عبَّر يوحنا عن مدى اتحادنا التام بالرب يسوع في مكانته الحالية.

لا نتجاهل دعوة الله الاختلافات بين إسرائيل والكنيسة

أشرنا آنفًا إلى دعوة اللّه لإبراهيم للذهاب إلى أرض الموعد. وفي أثناء إقامة إبراهيم في تلك الأرض، أخبره اللّه بأن نسله سيُستعبَدون في أرض مصر (تكوين ١٥). ثم عندما حان الوقت الذي عيَّنه اللّه، دعا نسل إبراهيم من إسحاق ويعقوب، لأنه أراد أن يكونوا شعبًا خاصًّا له. وجاءت هذه الدعوة إلى الشعب بواسطة موسى، الذي بيده أعتق اللّه الشعب من العبودية (خروج ١-٤). وعندما رفض فرعون أن يطلقهم (خروج ٥: ١-٦: ٢٥)، أوقع

اللّه ضربات على أرض مصر. لعل فرعون يرجع عن رأيه. لكنه لم يطلقهم إلا بعد الضربة العاشرة. وكان كلام اللّه إلى حاكم مصر هو: «أَطْلِقِ ٱبْنِي لِيَعْبُدَنِي» (خروج ٤: ٢٣). ومن هنا نعرف أننا كنا في فكر اللّه عندما أعطى هذه التعليمات (أرجو أن تقرأ ١كورنثوس ١٠: ١-١٣).

يصف أعمال الرسل ٢ البداية الفعلية للكنيسة على الأرض، بدءًا من حلول الروح القدس من السماء، مرسَلاً من الرب يسوع المسيح الممجَّد. وهذا الحدث الاستثنائي شكَّل بداية أمرٍ جديدٍ كليًّا، كان مكتومًا من قبل، لكنه أُعلِن للرسول بولس. ثم بعد ذلك، أخبر بولس الرسل الآخرين عنه (أرجو أن تقرأ غلاطية ١-٢). وتمدُّنا الكثير من المقاطع الكتابية في العهد الجديد بمزيد من التفاصيل عن هذا الأمر، مثل أفسس ١-٣؛ كولوسي ١-٢؛ ١بطرس ١-٢؛ ١يوحنا ١-٣.

إن خطط اللّه لإسرائيل متصلة بهذه الأرض، وكان العالم الآتي نصب أعين هذه الخطط منذ البداية. فعندئذ، ستكون إسرائيل هي رأس الشعوب، تحت قيادة الرب يسوع، الذي سيُكرَم من الجميع (مزمور٢، ٨، ٤٠، ٧٢). في المقابل، تقع خطط اللّه للمسيح والكنيسة في مجال مختلف، وهي مقدَّمة بالتفصيل في العهد الجديد، في حين يمدُّنا العهد القديم بشأنها بضوء إضافي يختص فقط ببعض المسائل العملية.

نحتاج أن نميِّز بين ما نميِّز بينه كلمة الله

إن دعوة إسرائيل ومكانتها كأمة تختلفان تمامًا عن دعوة الكنيسة ومكانتها. وإنه لخطأ مأساوي أن نمزج بين الاثنين، أو ننكر وجود هذه

الاختلافات، زاعمين أن الكنيسة هي إسرائيل، أو أنها شيء من قبيل ما يسمَّى "إسرائيل الروحية". هذا خلط تام. دعونا نستمتع بأفكار الله بكل بساطة مثلما تعلنها كلمته، ودعونا نَقبَلها بالإيمان بكلِّ بساطة، دون أن نستخدم كافة أنواع المنطق أو الحجج، سواء المؤيِّدة أو المعارضة.

قال أحدهم عن كلمة الله: اقرأ ما تقوله، وصدِّق ما تقوله، فيكون لك ما تقوله. بتعبير آخر، اقرأ كلمة الله، واقبلها، واستمتع بها. فإن فكر الإنسان، أو أحكامه المسبقة، أو قناعاته اللاهوتية، أو تقاليده، أو أي نوع من المذاهب الأخرى يتداخل ويتعارض مع بساطة الإيمان. ونحن بحاجة إلى مثل هذا الإيمان حتى نقبل أفكار الله، ونستمتع بها. لكن قطعًا، لا يريد العدو ذلك، ولذلك، فإنه يحاول دائمًا تعطيل الشركة بين الله وبين أولاده الطائعين والمحبين.

دعونا ننتبه جيدًا كلمات الترنيمة التالية بعنوان ثق وأطع، التي ألَّفها جون هـ. ساميس (١٨٤٦-١٩١٩)، حيث يقول البيت الأول والقرار:

حينما نسير مع الرب .. في نور كلمته،

يا للمجد الذي يغمر به سبيلنا!

وعندما نتمِّم مشيئته الصالحة،

يمكث معنا،

ومع كل الذين يثقون ويطيعون .. ثق وِطع،

فليس من سبيل آخر .. للفرح في يسوع،

سوى الثقة والطاعة.

التدابير الكتابية

- لمَ لا يقدِّم المسيحيون الذبائح الحيوانية لتي كان بنو إسرائيل مطالَبين بتقديمها؟
- لمَ يمكن للمؤمنين المسيحيين أن يأكلوا كلَّ أنواع اللحوم كما نقرأ في أعمال الرسل ١٠: ٩-١٦، بما في ذلك لحوم الحيوانات التي كانت محظورة على اليهود في اللاويين ١١؟

هل تغيَّر الله على مدار التاريخ ؟

كلا البتة! هذا هو الجواب القاطع على السؤال الأخير! يؤكِّد يعقوب، في حديثه عن اللّه الآب، أنه: «الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلا ظِلُّ دَوَرَانٍ» (يع ١: ١٧).

وردت كلمة "تدبير" في أفسس١ :١٠، وهي تشير إلى إدارة اللّه أو ترتيبه للحياة والأحداث. وعندما نقرأ الكتاب المقدس، نلاحظ أن إدارة اللّه اختلفت باختلاف الزمن. وقد تتبَّع الكثير من دارسي الكتاب المقدس سبعة تدابير، أو فترات من إدارة اللّه، من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا، تغطي تاريخ الجنس البشري من الخلق إلى الأبدية. يبدأ كلُّ تدبير بإعلان إلهي عن مشيئة اللّه في ذلك التدبير. يضع هذا الإعلان الإلهي مسئولية على عاتق الجنس

البشري، وينتهي الأمر عادةً بإخفاق الإنسان في تنفيذ مشيئة اللّه. ونتيجةً لذلك، تقع دينونة من عند اللّه، تختتم ذلك التدبير.

وعندما نقرأ الكتاب المقدس، ثمة أهمية أن نعرف التدبير الذي يقع داخله الجزء الذي نقرأه. حثَّ بولس تيموثاوس قائلا: «اُجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلهِ مُزَكًّى، عَامِلاً لا يُخْزَى، مُفَصِّلًا كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاسْتِقَامَةِ» (٢تيموثاوس ٢: ١٥). وتساعدنا الدراسة المجتهدة للكتاب المقدس على معرفة التدبير الذي يقع داخله نصٌّ محدَّد، حتى نتمكَّن من فهمه بطريقة صحيحة.

التدبير الأول: البراءة (تكوين ١: ٢٨-٣: ٢٤)

بدأ التدبير الأول في جنة عدن، عندما خلق اللّه آدم وحواء. كان كلٌّ من الرجل والمرأة في حالة من البراءة، بلا خطية. وكان اللّه يعلن عن ذاته لهما بزياراته المتكررة. وأعطاهم اللّه وصية واحدة فحسب، وهي ألا يأكلا من شجرة معرفة الخير والشر (تكوين ٢: ١٦-١٧). إلا أننا نَعلَم أنهما أخفقا في حفظ هذه الوصية، وأكلا من تلك الشجرة. وكانت النتيجة أنهما وقعا تحت دينونة اللّه، وأصابتهما لعنة الموت. وهنا انتهى هذا التدبير بدينونة اللّه على آدم وحواء، وطَرد كليهما من الجنة.

التدبير الثاني: الضمير (تكوين ٤-٨)

يبدأ التدبير الثاني بأول عائلة من البشر تعيش على الأرض، خارج جنة عدن. فقد ألبس اللّه آدم وحواء جلد الحيوانات (تكوين ٣: ٢١)، الأمر الذي أظهر الحاجة إلى ذبيحة. وقد أطاع هابيل، ابنهما، اللّه، وقدَّم ذبائح حيوانية. أما قايين أخوه وكلُّ نسله، فعملوا الشرَّ في عينيِّ الرب. ونتيجةً لذلك، أخفق الجنس البشري مرة أخرى، وانتشر الشرُّ في كل أنحاء الأرض. وهنا انتهى التدبير الثاني بدينونة اللّه التي تمثَّلت في الطوفان الذي جاء في أيام نوح.

التدبير الثالث: الحكومة البشرية (تكوين ٩-١١)

بدأ التدبير الثالث بوضع مسؤولية حُكم الأرض على عاتق نوح وعائلته (تكوين ٩: ٥-٦). وكانت وصية اللّه الرئيسية هي أن ينتشروا ويُكثِروا في الأرض (الآية ٧). لكنَّ البشر تحدوا اللّه بمحاولتهم بناء برج يصل رأسه إلى السماء. ونتيجةً لإخفاق الإنسان في إطاعة الوصية، أدان اللّه الجنس البشري ببلبلة ألسنتهم.

التدبير الرابع: الوعد (تكوين ١٢ - خروج ١٩)

في التدبير الرابع، اختار اللّه أبرام وعائلته ليقيم معهم علاقة وثيقة. فعل اللّه ذلك بالنعمة، منتقيًا رجلًا واحدًا من بين جميع البشر على وجه الأرض، وقاطعًا له هو وعائلته وعدًا بامتلاك أرض كنعان، وواضعًا على عاتقه أيضًا مسؤولية السكنى فيها. وقد واجه كلٌّ من إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب مشكلاتهم وإخفاقاتهم الخاصة، لكنهم صدَّقوا وعود اللّه. لكن بمرور الوقت، أخفقت العائلة بأكملها، مبرهنةً بذلك مرة أخرى على فساد الجنس البشري. وبدلاً من أن يسكنوا في أرض كنعان، انتهى بهم الحال عبيدًا في أرض مصر.

التدبير الخامس: الناموس (خروج ١٩ - أعمال الرسل ٢)

بدأ التدبير الخامس بافتداء اللّه لشعبه من عبودية أرض مصر. ثم تسلَّم الشعب ناموس اللّه وأُمِروا بإطاعته. وعلى مدار تاريخ إسرائيل، نقرأ عبر معظم العهد القديم كيف كسر الشعب هذا الناموس، فانتهى بهم الحال رافضين مسيحهم، وصالبين إياه. وكانت النتيجة هي وقوع دينونة اللّه على اليهود، بإرساله الرومان لمهاجمة أورشليم في عام ٧٠م، الأمر الذي تسبَّب في تشتُّت اليهود في كلِّ أنحاء العالم.

التدبير السادس: النعمة (أعمال الرسل ٢ - رؤيا ١٩)

يشمل التدبير السادس العصر الحالي، المعروف باسم عصر الكنيسة. ويميِّزه وجود النعمة، في مقابل الناموس. وفي هذا التدبير، يُدعَى البشر إلى أن يضعوا ثقتهم في المسيح بالإيمان، من أجل التمتُّع بالحياة الأبدية.

لكن للأسف، يبتعد الجنس البشري أكثر فأكثر عن المسيح، وصار المسيح اليوم مرفوضًا في كل أنحاء العالم. وستُؤخذ الكنيسة لتكون مع الرب في الاختطاف. لكن، سينتهي هذا التدبير بعد وقوع دينونة الله على الأرض مباشرة، خلال فترة الضيقة العظيمة.

التدبير السابع: المُلك (رؤيا ٢٠)

سوف يبدأ التدبير السابع عندما يأتي المسيح ليملك على الأرض، ويبدأ مُلكه الألفي. سيكون هذا الوقت هو أفضل الفترات التي سيشهدها العالم، إذ ستكون فترة من الرخاء والبرِّ غير المسبوقَين. وستكون المسئولية الواقعة على عاتق البشر هي أن يطيعوا المسيح الملك ويعبدوه. وسوف يفعل ذلك معظم الذين سيدخلون المملكة، لأنهم سيكونون هم أيضًا مؤمنين مولودين ثانية، اجتازوا فترة الضيقة العظيمة. لكن، خلال الملك الألفي، سيولد آخرون كثيرون، وسيثير البعض منهم تمرُّدًا أخيرًا على المسيح في نهاية الألف سنة. وسيبرهن الجنس البشري على إخفاقه حتى في الملك الألفي. وسينتهي هذا التدبير الأخير بدينونة الله النهائية، عندما يرسل غير المؤمنين إلى الجحيم الأبدي.

ملاحظات ختامية

نلاحظ أن بعض التدابير لها طابع أرضي، إذ تتضمَّن قوانين محدَّدة تخص ما يجب أن يُؤكَل، وكيفية ممارسة الحياة على الأرض، وغير ذلك أيضًا. أما بعض التدابير الأخرى، فكان لها طابع سماوي، لأنها تتعلق بالأكثر بعلاقتنا

الروحية باللّه. وإذا تتبَّعنا التدابير، سنلاحظ أنها تتناوب بعضها مع بعض في طابعها الأرضي والسماوي، على النحو التالي:

١	البراءة	أرضي
٢	الضمير	سماوي
٣	الحكومة البشرية	أرضي
٤	الوعد	سماوي
٥	الناموس	أرضي
٦	النعمة	سماوي
٧	المُلك	أرضي

ربما يدفعنا هذا إلى التساؤل بشأن أساس الخلاص في كلِّ تدبير. فقد أعلن اللّه لآدم وحواء عن وجوب قتل حيوان، أي سفك دم، لتغطيتهما بسبب خطيتهما (تكوين ٣: ٢١). وهكذا، قدَّم هابيل ذبائح حيوانية، وهكذا فعل أيضًا إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وغيرهم. كذلك، تضمن الناموس تعليمات كثيرة بشأن الأنواع المختلفة من التقدمات. ومع أن التدابير تقدِّم صورًا مختلفة لفكرة الفداء، هي تشير جميعها إلى صليب الرب يسوع المسيح. فالصليب هو أساس الخلاص والفداء عبر كلِّ التدابير. وقد أمدَّتنا الذبائح الحيوانية في الماضي بصورٍ وأمثلة تساعدنا لنفهم السمات المختلفة لصليب المسيح. وفي الوقت الحاضر، يمدُّنا عشاء الرب بتذكارٍ لعمله. فالمسيح هو مركز التاريخ، ومحور تركيز الكتاب المقدس بأكمله!

عهد النعمة

النعمة هي فيض قلب اللّه المحب بالجود والعطاء في مشهد فشل الإنسان وخرابه التام. والواقع أنه لولا هذه النعمة الإلهية الغنية والمتفاضلة، ما كان لإنسان أن يدخل في علاقة وشركة مع اللّه القدوس البار. وعلى مر العصور كانت النعمة ولا تزال هي طريق اللّه إلى الإنسان؛ وطريق الإنسان إلى اللّه.

وفي العهد القديم كانت هناك أمثلة واضحة لهذه النعمة التي افتقدت من هم خارج شعب اللّه القديم كراعوث المؤآبية (سفر راعوث)، بل حتى من هم في قاع المجتمع أو بيتًا مثلا رحاب الزانية (يشوع٢)..الخ.

أما في العهد الجديد فقد أتي اللّه إلينا بنفسه متجسدًا في المسيح (يوحنا ١: ١، ١٤) وفي شخصه الكريم «النعمة والحق بيسوع المسيح صارا» (صار).

وبظهور المسيح فقد ظهرت نعمة اللّه المخلصة؛ ظهرت لجميع الناس (تيطس ٢: ١١).

ومنذ مجيء المسيح وإلى الآن فنحن في عهد النعمة الحاضر أسعد حالاً وأوفر حظًا وصارت النعمة الإلهي المخلصة واضحة ومعلنة لجميع الناس ومن كل الاجناس!

القارئ العزيز.. هل تمتعت بهذه النعمة الإلهية في المسيح يسوع؟

ليتك تأخذ من هذه النعمة حصة فتنال الخلاص والبركة حاضرًا أو أبديًا في المسيح.

حياة بولس

الفصل العاشر

قبل أربع عشرة سنة (٢كو١٢: ٢- ٥)

تابع ما قبله

لا داعي لإطالة البحث في ماهية شوكة بولس التي أعطيت إليه في الجسد. لآن هذا أمر ليست له هنا أهمية كبرى. ويكفي القول أنها كانت أليمة جدًا، دعاها بولس «شوكة» أو "وتد: (كبعض الترجمات) كأنه شُدّ إلى وتد. ولابد أنها كانت جسدية، لآنه لا يمكن أن يصلي ثلاث مرات لأجل شائبة أدبية ولا يستجاب. لقد سمح اللّه، بحكمته اللانهائية، لملاك الشيطان أن يلطم عبده، وفي تلك الرحلة الأولى، واجه سلسلة طويلة من اللطمات... كانت هنالك أخطار لصوص، وأخطار مياه، وخطار في نفقُ الجبال، وأخطار من الجموع الثائرة؛ وعلاوة على هذا كله ، كانت هنالك شوكة بوخزاتها الأليمة.

والأرجح أنه كان يشكو ضعفًا في نظره، أو نوعًا من الرمد. هذا نستنتجه من تمني الغلاطيين أن يعطوه عيونهم، ومن اعتماده على شخص يملي عليه رسائله، ومن الأحرف الكبيرة التي كان يختتم بها رسائله (غل٦: ١١). إن صح هذا الرأي، فلابد أن يكون الألم قد ازداد إذا واجه الرياح اللافحة التي تهب على الهضبة التي كانت انطاكية بيسيدية قائمة عليها.

أفي هذه الرحلة صلى للرب في ثلاث مناسبات مختلفة لإنقاذه من هذه الشوكة، فأكد له أنه وإن بقيت الشوكة، فإنه سيُعطَى نعمة أكثر من

الكفاية؟ إن صح هذا الرأي، فلابد أنه في انطاكية وأيقونية ودربة ولسترة، قد رنت في أذنيه هذه الكلمات العذبة كالموسيقى الشجية: تكفيك، تكفيك، تكفيك نعمتي. تكفيك عندما يهجرك الأصدقاء، ويتعبك الأعداء، تكفيك لتقويتك إزاء المجامع الثائرة أو رجم الحجارة المتناثرة، تكفيك لتريحك من متاعب الجسد وصراع النفس، تكفيل لتعينك على إتمام خدمات أجلّ وأوفر مما لو كان الجسد سليمًا، لأن قوتي تكمل فقط في حالات الضعف الجسدي.

من العدل أن نحسب حساب الصعوبات التي يلقاها أي امرئ، وذلك لكي يمكننا تقدير عظمة الخدمة التي يؤديها. وإن تقديرنا للرسول ليتعاظم جدًا حينما نذكر انه كان في الآم مستمرة، فإنه عوضًا عن أن يجلس في بيته يائسًا، ويترك الخدمة بحجة ضعفه الجسدي، نراه، بكل شجاعة، يلجأ للنعمة التي كانت في انتظاره، ويتمم بقوة اللّه خدمات أعظم مما كان ممكنًا أن يتممه بقوته لو لم يقيده ضعفه.

إيه أيها السقماء!! إن ضعفاتكم قد قُصِدَ بها أن تتحد بقوة اللّه، وأن يلتقي عجزكم بقدرته، لا تجلسوا إزاء زجتكم غير الموفقة، وعملكم المعطل، إزاء ذلك الشريك غير المتجانس، وذلك الضعف الجسدي، واللسان الأبكم، والوجه الدميم، كأن هذه لابد أن تعجزكم وتغلبكم. إن نعمة اللّه في انتظاركم، وفيها الكفاية، وكلما ازداد الضعف البشري، ازداد عمل النعمة، فألجأوا إليها، عالمين أن منتظري اللّه أقوى في ضعفهم من بني البشر في أفخر قوتهم وأكمل صحتهم.

الفصل الحادي عشر

صراع الرسول بولس (أعمال ١٥؛ غل٢)

كان اعتزال إبراهيم عن بلاده وأقاربه وبيت أبيه، رمزًا لاعتزال شعبه، الذي قيل عنه بأنه: « شَعْبٌ يَسْكُنُ وَحْدَهُ، وَبَيْنَ الشُّعُوبِ لاَ يُحْسَبُ» (عد٢٣: ٩).

اقد حدد بكل حرص ملابسهم، وطقوسهم وعاداتهم، وعوائدهم الدينية، لكي يكونوا في عزلة تامة، حتى إذا ابتعدوا عن كل مؤثرات الشعوب المجاورة أصبحوا أهلاً لقبول معرفة اللّه، وإبقائها ونقلها إلى غيرهم. لم تكن هنالك طريقة أخري لاحتفاظ بالوديعة النفسية التي اؤتمنوا عليها كل تلك الأجيال الطويلة، والابقاء على شهادتهم الدائمة لوحدة اللّه وروحانيته وقداسته. ولم تكن هنالك طريقة أخرى يصيرون بها شعراء روحيين للبشرية، ويصبجون أنبياءها ومعلميها.

كانت نواميس العزلة صارمة جدًا حتى أن بطرس لم يحجم عن أن يُذكر كرنيليوس وأصدقائه بالخطر الذي استهدف له لدخول بيت أممي، رغم أن مضيفه كان رجلاً رفيع القدر، وبلا لوم، ومشهود له من كل أمة اليهود. ولما صعد بطرس إلى أورشليم، أتهمه حتى أخوته الذين معه والذين كانوا من أهل الختان بارتكاب خطأ شنيع « خَاصَمَهُ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، ٣قَائِلِينَ:«إِنَّكَ دَخَلْتَ إِلَى رِجَال ذَوِي غُلْفَةٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُم».

كان ناموس الوصايا القائم بفرائض معينة (أف٢: ١٥). رتب بعضها موسى وزاد عليها الكثير من المعلمين والربيون في الاجيال المتعاقبة، يعتبر حاجزًا منيعًا توسط بين اليهود والأمم.

كانت كل هذه الحواجز والقيود ممثلة في الطقس اليهودي الرئيسي، أي طقس الختان الذي عظم اليهود في أهميته لدرجة التطرف الشديد. قال أحد الربيين: "لولا هذا الطقس لما وُجدت الأرض والسماء" وقال آخر أنه يعادل كل وصايا الناموس. وكانوا يعتقدون أنه خير للأمي أن يخضع لهذا الطقس من طاعة كل وصايا موسي الإيجابية أو محبة اللّه والقريب. وكانوا يفترضون بأن آدم ونوح و يعقوب ويوسف وموسي وبلعام وُلدوا مختونين، وأن هذا الطقس صار فيما بعد في عهدة، وتحت أشراف، النبي العظيم إيليا. الذي كانوا يعتقدون بأنه حاضر على الدوام لمراقبة إتمامه بدقة.

كان إتمام هذا الطقس يراعي بمنتهي الدقة والصرامة في أورشليم. أما في البلاد البعيدة وسط الجماعات الأممية الكبيرة التي اختلط معها اليهود في التجارة قد تساهلوا في هذه القيود الناموسية، ولو أنهم احتفظوا دوامًا بطقس الختان، وعدم الاختلاط في الزواج بغير اليهود، وطريقته المألوفة في ذبح الحيوانات التي لاتزال شائعة بينهم إلى الآن. فواضح إذن أن أية دعوة تقدمها المسيحية لليهود، كانت تُلقي قبولاً بعيدًا عن أورشليم، حيث تقام فيها للحال هناك، بسبب روح التحفظ الشديد الذي تتمسك به مدينة اليهود الرئيسية. لذلك لا نندهش إن وجدنا أنطاكية مركز للنهضة العظيمة التي تزعمها برنابا وبولس، والتي كانت تتضمن الترحيب علانية بالأمم للانضمام لجماعة المسيحيين دون الإصرار على الخضوع أولاً لطقس الختان المبجل.

وهذا أدي إلى تقدم عظيم، فإلي ذلك الوقت كان المسيحيين سيما في اليهودية، يُتبرون هند الشعب شيعة يهودية. ولطالما كانوا مستعدين لحضور خدمات الهيكل، والامتثال للتعليمات، والاحتفاظ بالفرائض اليهودية، فإن إيمانهم بيسوع، كالمسيا المنتظر، كان يعتبر خاصية يمكن التجاوز عنها، وغض النظر عنها. وكان مسموحًا لهم أن يجتمعوا في ولائم المحبة طالما كانوا لم يهجروا الهيكل، وأن يصلوا ليسوع كإله إن كانوا يتصرفون في كل الشئون كيهود أتقياء. ولكن، لو ظلت هذه القاعدة مرعبة في كل مكان، لاختفت المسيحية سريعًا، كما يختفي المجرى إن جاز وسط مستنقع، ولما أمكن تمييزها بعد سنوات قليلة، ولبرزت الديانة اليهودية، بأعبائها التي لا تُحتمل، ومبالغتها الكثيرة، كأتقى ديانة ظهرت في العالم، ولبقي العالم الوثني في عزلة مُيئسة، ولتأخر ملكوت اللّه أجيالاً حتى أن ابتدأ تلك البداية الأولى.

على أن هذا امتنع بالخطة التي أرشد إليها برنابا وبولس. في رسالة غلاطية (٢: ٤و١٢)، نرى صورة لامعة للحرية التي في المسيح يسوع التي نالها المتجددون في أنطاكية. فالمختونون وغير المختونين اشتركوا في ممارسات

واحدة مسيحية لقد أكلوا معاً دون تساؤل، وحتى بطرس، لما زار أنطاكية، افتتن ببساطة الشركة المسيحية وجمال الشركة الأخوية، حتى أنه اشترك معهم اختياراً، واشترك في ولائم المحبة والولائم العادية.

لكن الحزب المحافظ في كنيسة أورشليم، لما سمعوا هذه الأنباء لم يستريحوا، فإنهم رأوا أنه إذا ساد هذا المبدأ، قوِّض أركان سلطتهم وأضعف مركزهم. فإنهم لم يحتملوا فكرة إلغاء الختان، وإمكانية تداول تعاليم موسى الروحية العميقة بين الأمم بسهولة. ولذلك، قدم إخوة كذبة للحال، كانوا قد أُدخلوا خفية، ودخلوا اختلاساً، ليتجسسوا الحرية التي كانت تتمتع بها كنيسة أنطاكية (غلا٢: ٤). ولما وقفوا على حقيقية الأمر « وَانْحَدَرَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ، وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ الإِخْوَةَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى، لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا» (أع١٥: ١).

كانت أزمة خطيرة، أدت إلي مناقشة حامية مررت حياة الرسول سنوات كثيرة. ولكنها أيضاً أدت إلى بعض من أسمى رسائله وتفسير لحقائق الإنجيل بوضوح تام وجمال منقطع النظير.

١. لقد تعرضت بعض المواضيع الهامة للخطر وهاك بعضها على سبيل المثال:

أولاً: اتعتبر المسيحية شيعة اليهودية، رواقًا في الهيكل، برعم الزهرة محفوظًا في غلافه. طفلاً مقمطًا ممتنعًا عليه نموه الطبيعي؟

ثانيًا: أتبقي الفرائض الناموسية المتعلقة بالطقوس والشعائر والأعياد والأصوام، متساوية مع ناموس سيناء والتثنية الأدبي، أم تعتبر رمزًا يجب أن يبطل متى حل المرموز إليه؟

ثالثًا: وأهم الكل: ما هي الشروط التي بها ينبغي للمرء أن يخلص؟

إن شروط الخلاص موضوع حديث كل الأجيال، قد تختلف التفاصيل ولكن المناقشة واحدة على الدوام. لاتزال الاختلافات قائمة بين

الكنائس عن شروط الخلاص. ومن حجج الرسول الدامغة، التي أسكت بها خصومه في القديم نستطيع أن نجد السلاح.

إن الخلاص لا يُنال بمجرد الخضوع لطقس معين، ولا باتباع قواعد مرسومة ولا بإطاعة تعاليم ثابتة. قد يدقق المرء في حفظ كل هذه، ومع ذلك، يبقى تحت غضب الله، ويلبث منغلبًا من شهواته.

فالشرط للخلاص هو الإيمان، الذي يؤمن بمن يبرر الفاجر، ويقبل في القلب طبيعة يسوع لتصبح قوة للحياة الجديدة. إذن، فكل الطقوس الخارجية نافعة بجانب الإيمان، إنها لها مكانتها، ولها احترامها، ولكنها، لا قيمة لها، ولا فاعلية، بدون الإيمان.

على أن هنالك ميلاً دائمًا في القلب البشري للاتكال فقط على الممارسات الخارجية لأن الأمور المنظورة هي الملموسة. ومتى اعتمد عليها المرء فقط، أصبحت ديانة آلية.

إذن فلا ننسى فقط أنه: «فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ»، والخليقة الجديدة وحفظ وصايا الله (غل٥: ٦)، ولنتقد دومًا بالرسول الذي قال: «الَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجِيلِ» (غل٢: ٥).

٢. المناقشة بين الطرفين:

حدثت لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم:

• ألم يكمل يسوع ناموس موسى؟ ألم يُختتن؟ ألم يحفظ بدقة الأصوام والأعياد، بل دفع نصيبه في جباية الهيكل؟

قال برنابا وبولس: هذا صحيح، ولكن يجب أن تذكروا أنه عندما مات يسوع قال: قد أُكمل وأنشق حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل، ليبين أن الديانة اليهودية قد أكملت رسالتها المعطاة إليها من الله. منذ تلك اللحظة، لم يصبح يسوع مخلص اليهود فقط بل فادي العالم،

عندما أيّد الله العهد الجديد بدم الجلجثة، عتق العهد الأول «أَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الاضْمِحْلاَلِ» (عب٨: ١٣).

• لكن يقينًا إن الناموس الذي أعطي بموسى دائم. ألم يؤكد يسوع الناصري أنه لا يزول نقطة واحدة أو حرف واحد حتى يكون الكل؟

هذا مؤكد، ولكن، يجب حتمًا التمييز بين الظاهر والباطن، بين الطقسي والأدبي بين الصورة والمادة. من المستحيل التصديق بأن الناموس الطقسي الذي رُسم لغرض معين يمكن أن تكون له نفس القوة والتزام والأهمية التي للوصايا العشر التي يشهد لها ضمير كل البشر.

• ولكن إن أرخيتم قيود الناموس، ألم ترخوا كل القيود الأدبية، وهذا يؤدي إلى تساهل عام في الالتزامات العائلية والحكومية؟

لا خوف من هذا، لأن بساطة الإيمان قد تقدم لنا الجواب، فإن النفوس التي ترتبط بيسوع المسيح بالإيمان تتطهر، إذ تنال منه قوات من الحياة الروحية، بذلك تتطهر وتتقدس إلى التمام. إذن، أفنبطل الناموس بالإيمان؟ حاشا، بل نثبت الناموس (رو٣: ٣١). «كَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ.» (رو٨: ٤) «لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ» (رو٨: ٢).

٣. الالتجاء إلى أورشليم:

على أن المناقشات لم تأت بنتيجة حاسمة. ولذلك تقرر نهائيًا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون إلى أورشليم لاستشارة الرسل والمشايخ في هذه المسألة.

اجتاز هؤلاء ببطء في فنيقية والسامرة يصرحون برجوع الأمم في كل الجماعات المسيحية الضئيلة العدد التي مروا بها في طريقهم، إلى أن وصلوا أورشليم حيث عُقد اجتماع عظيم بصفة خاصة، فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم، أي بالتعاون والاشتراك معهم، كأن المسيح

الحي، إذ باركهم، اشترك بنفسه في الخطة التي اتبعوها. ولكن حديثهم كان يقاطع إذ «وَلكِنْ قَامَ أُنَاسٌ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا مِنْ مَذْهَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَقَالُوا: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَنُوا، وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى» (أع ١٥: ٥).

ومرة أخرى عُقد اجتماع خاص حصلت فيه مباحثات كثيرة، قام بطرس وقال لهم في اعتقادي أن هذه المسألة قد بت فيها اللّه بنفسه، عندما حل الروح القدس على الأمم الغلف في بيت كرنيليوس، كما علينا أيضًا في البداءة. وإن كان لم يميز بيننا وبينهم بشيء، فلماذا نميز نحن؟

بعد ذلك، كرر برنابا وبولس روايتهما العجيبة، مؤكدين في هذه المرة أنهما لم يكونا سوى آلات استخدمها اللّه. وبينا كيف بارك اللّه الأمم ببركة عظيمة جدًا، ولايزال يبارك بغض النظر عن الختان.

وأخيرًا، لخص يعقوب كل المناقشة، وخرج منها بأربع نقط صغيرة، رأي من المناسب أن يصر علي طائعة الفرائض والشعائر الناموسية. عندئذٍ، وافق الرسل والمشايخ على رأيه السديد.

وهذه الموافقة الإجماعية التي حصلت بين زعماء الرسل وبين المبشرين العظيمين اللذين سببا كل هذه المناقشة، تعزً على الأرجح جدًا إلى المقابلة الخاصة التي سعى إليها بولس (غلا٢:٢)، والتي يعتقد معظم المفسرين أنها تمت في تلك الفترة.

لقد أخبرنا أنه صعد بموجب إعلان، كأنه كان هناك ضغط روحي عليه علاوة على طلب الكنيسة. وعند وصوله إلى أورشليم، عرض على المعتبرين الإنجيل الذي كرز به بين الأمم، لئلا يكون قد سعى باطلاً.

وقد استراحت روحه عندما وجد أنهك لم يناقضوا رأيه، ولا أصروا على ضرورة ختان تيطس، وكان شابًا يونانيًا، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من هذا، إذ اترفوا بأنه أُتمن على إنجيل الختان، وأعطوه وبرنابا يمين الشركة ليكونا للأمم، وأما هم فللختان. كانت قوة الرب يسوع المقام تعمل بقوة في

خادميًّه، حتى إنه لم يكن هنالك اعتراض على هذه الدعوة التي دُعيا إليها.

خذل حزب الفريسيين، وصدر القرار بالموافقة على رأي يعقوب، ولكن منذ تلك اللحظة، قامت حرب شعواء على الرسول بولس، وظلت تلاحقه مدة عشر سنوات وكلفته متاعب كثيرة ودموعًا غزيرة. فإن كل كنيسة أنشأها، زارها سفراء من قبل خصومه الأنداء الذين لم يكتفوا بالإصرار على ضرورة الختان، بل أكدوا أن بولس لم يكن رسولاً، لأنه لم يرى المسيح إلا في رؤيا، ولم يرافقه قط أيام حياته على الأرض وافتروا على أخلاقه الشخصية، وحرفوا معني إحجامه عن قبول هدايا من المتجددين على يديه، وتحدثوا بمرارة عن عيوبه الشخصية. وفي كثير من الأحيان نجحوا في تنفير أبنائه الروحيين منه.

كثيرًا ما أشار بولس إلى هذا الاضطهاد المر في رسائله للغلاطيين والكورنثيين والواقع إنه حز في نفسه، ومع ذلك لم يعترف بالهزيمة قط، إذ أن هذا البطل، قلب الأسد جاهد الجهاد الحسن إلى النهاية بصلوات ودموع، بمناقشات وأقتناعات بتهديدات واعتراضات. ولدى التأمل في لهجة رسائله الأخيرة، يصبح القول أن الرب قد سمح له بأن يرى ختام دفاعه، حيث قصدت عناية اللّه ألا يُصيب خمر المسيحية الجديد في زقاق اليهودية العتيقة.

إن كانت شروط التبرير واضحة كل الوضوح الآن، وهي تُلخص في التوبة إلى اللّه والإيمان بالرب يسوع المسيح، وإن كان قد تبين أن الخلاص مجاني كالهواء، وإن كنا نستطيع أن نبشر الجميع بأن كل الذين يؤمنون يتبررون من كل شيء - فإن ذلك كله يُعزِّى لشجاعة رسول الأمم التي لم تلن، والتي بها دافع عن الإيمان المسلَّم مرة للقديسين، والتي استطاع بها في إحدى المناسبات أن يواجه حتى الرسول بطرس نفسه لأنه كان ملومًا (غلا٢: ١١).

«اسْتَيْقِظِي يَا رِيحَ الشَّمَالِ، وَتَعَالَيْ يَا رِيحَ الْجَنُوبِ! هُبِّي عَلَى جَنَّتِي فَتَقْطُرَ أَطْيَابُهَا. لِيَأْتِ حَبِيبِي إِلَى جَنَّتِهِ وَيَأْكُلْ ثَمَرَهُ النَّفِيسَ» (نش٤: ١٦)

***

ما أطيب لكل مؤمن بالرب يسوع أنه جنة يانعة - في حياته اليومية - لمجد سيده. هل نستطيع أن ندعو ريح الشمال بأن تهب عليها؟ وهي تتكلم عن الظروف المعاكسة بينما ريح الجنوب عن مواقف السرور. والرب يرى فيهما أنهما لازمان للجنة لتحمل ثمارها المقبولة لديه! وينتشر عبيقها بفعلهما، وفيهما يتمركز اهتمامنا ورغباتنا في أن يجد السيد سروره.

ومن المسلَّم به اننا نبذل جهدًا كبيرًا لتقبل الشدائد، إذا كانت لدينا رغبه قبولها من يد الرب بفرح ونطلب نعمة لنتعلم منها ولها رائحه طيبه، ومن الناحية الأخرى فلنا روح طيبة لقبول الظروف المواتية، وإن كنا نظن بأننا نستحقها فإننا نظهر رائحة غير طيبه للتفاخر الذاتي أما إذا كنا شاكرين الرب من القلب لعطيته لنا فهذه موضع سرور له.

وإذا كانت لدينا رغبة حقيقية لدعوة رياح الشمال والجنوب؛ فليست لنا أية ترددات لحبيبنا ليدخل جنته ليأكل ثمارها الطيبة.

ولهذا؛ إذا كانت نفوسنا مخلصة تطلب مسرة سيدنا المحبوب، فلم نعد نظن بأن الحديقة الغناء لم تعد ملكنا، بل بالحرية ملكه.

ولهذا، فإذا كانت نفوسنا مستعده بكل أمانة أن تطلب مسرة سيدنا، فلم نعد نفكر في امتلاكنا لحديقتنا الخاصة بل بالحري له شخصيًا. ألا ندرك بأن الاستجابة الصحيحة لعمل الروح القدس في قلوبنا أنه عمل الهي وليس من عملنا، عمل الهنا الحي في قلوب أعدها في نعمته؟ ومن سروره ان يأكل من تلك الثمار الطيبة وحينئذ يتم المقولة الصادقة سروره - له المجد - هو ملء سرورنا تبعًا لذلك.

أروع كيان في الوجود

تعتبر "الكنيسة" هي أروع وأرقى كيان روحي في كل الوجود وعبر كل العصور. وكيف لا وهي جسد المسيح الرأس المجد في السماء.

وهي بذلك تمتاز عن كل المؤمنين في كل العصور السابقة للكنيسة أو التالية لها.

والكنيسة هنا هي جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمسيح في كل مكان وكل زمان. هذه الكنيسة التي رآها المسيح لؤلؤة تستحق أن يمضي ويبيع كل شيء (حتى نفسه) لكي يقتنيها (مت١٣). وهي العروس التي أحبها وأسلم نفسه لأجلها وفي الحاضر يخدمها ويقدسها بنفسه. وفي المستقبل القريب سيحضرها بنفسه لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ولا لوم ولا شيء من مثل ذلك (أف٥: ٢٥).

وإذ كان المسيح قد قدرنا ككنيسة بهذا المقدار، فكم وكم يكون تقديرنا نحن لشخصه؟

وإن كان المسيح يقدر كنيسته ويحبها بهذا الشكل، كم يجب أن تكون محبتنا لإخوتنا ولكنيسه اللّه انعكاسًا وصدى لمحبتنا نحن للمسيح، كصدى أيضًا لمحبته هو لنا نحن أولاً؟!